

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الشخصية الإسلامية بين إيديولوجيا الدين وصناعة الحضارة . الحسن ابن الهيثم انموذجا .

هوارى عبد القادر ^{1*}، تحت إشراف : بلقاسم بن شعيب ²

¹كلية العلوم الاجتماعية جامعة عمار ثلجي الأغواط (الجزائر) , مخبر الصحة النفسية (الجزائر)

æk.houari@lagh-univ.dz

²أستاذ محاضر أ كلية العلوم الاجتماعية جامعة عمار ثلجي الأغواط (الجزائر) مخبر الفلسفة وتنمية المجتمع

b.benchaib@ lagh-univ.dz (الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/03/01

تاريخ القبول: 2022/01/15

تاريخ ارسال المقال: 2021/12/05

* المؤلف المرسل

الملخص:

تتماز كل حضارة بطابع فكري وعلمي استقلت به عن غيرها من الحضارات وهذا ما عرفت به الحضارة الإسلامية فيكاد يجمع كل من تعرف على هذه الحضارة أو غاص فيها - فكريا من دون عوائق نفسية أو اجتماعية صنعتها الايديولوجيا أو التاريخ- أن النتاج الإبداعي العلمي والفلسفي الإسلامي ليس إنتاجا فرديا معزولا إنما هو إنتاج متوارث بين العقول المفكرة الإسلامية يشهد على نبوغها العلم والمنهج وفلسفة العلم الخاصة بالمسلمين وصادق عليها من احتك وتأثر بهم ويكفي أن تكون أعمال ابن الهيثم رافدا من روافد العلم الحديث .

الكلمات المفتاحية: الشخصية الإسلامية، الدين، الحضارة، ابن الهيثم.

Abstract :

Chaque civilisation est caractérisée par un caractère intellectuel et scientifique indépendant des autres civilisations et c'est ainsi que la civilisation islamique était connue. Presque tous ceux qui ont connu cette civilisation ou s'y sont plongés - intellectuellement sans obstacles psychologiques ou sociaux créés par l'idéologie ou histoire - convient que le produit créatif scientifique et philosophique islamique Ce n'est pas une production individuelle isolée, mais plutôt une production héritée parmi les esprits islamiques qui témoignent de leur génie en science, méthode et philosophie de la science pour les musulmans, et c'était endossés par ceux qui ont été en contact et influencés par eux. Il suffit que les travaux d'Ibn al-Haytham soient un tributaire de la science moderne.

Keywords : personnalité islamique, religion, civilisation, Ibn al-Haytham

مقدمة:

شاع بين المسلمين أن أساس العلم ومنطلقاته المنهجية نبات إسلامي، تفرد بغرسه الإسلام والمسلمين فقط، ولا نقصد هنا التباهي أو المكابرة على الحضارات الأخرى. وإنما نحن بصدد التحقق من هذا الاعتقاد نلمس بذلك إدراك الحقيقة التي أسست لهذا الفكر وجعلته النمط السائد بين المتحاورين والمفكرين وحتى العامة من الناس التي لا تؤمن إلا بالإسلام كصانع للحضارة وحده دون غيره . في مقابل الاعتقاد الغربي الذي يرى بأن انتقال العلوم وطرق التفكير ومناهج البحث إرتبط بالحضارة اليونانية القديمة وصولا إلى الحضارة الحديثة والمعاصرة متجاوزا مخلفات الحضارة الإسلامية .

- لذلك إرتأينا أن نبحت عن دوافع هذه المعتقدات وأن نجتمع مواطن التداخل والتكامل لا الاختلاف بين الحضارات فهدفنا صناعة فكر إنساني يعترف بالإنسانية لا بالشخصانية. فمن خلال ذلك وضعنا إشكالية بحث مفادها: البحث عن الأسس والكيفيات التي توصل الإسلام بها إلى صناعة شخصية عالمية بميزات علمية. لنقوم بوضع جملة من الافتراضات غايتها الوصول إلى حلول حول تلك المعتقدات السائدة التي شوهت الإسلام والمسلمين مهتمين بمجال فلسفة العلم لا الخوض في ما سواها من المعارف حيث :
1. إن البحث في مقومات الايديولوجيا الإسلامية سيوقفنا عند حقيقة الإسلام ونظرته للعلم من خلال فهم مبادئه ودوافعه .
 2. إظهار معالم التكامل والتفاعل الوظيفي والغائي للدين والعلم وبذلك تحديد الشخصية الإسلامية الحقيقية.
 3. الشخصية العلمية الإسلامية صنعت عالمية الإسلام .
 4. ابستمولوجيا العلم وفلسفة العلم مفاهيم إسلامية وليست حديثة .
 - لنستدرج من خلال هذه الافتراضات إلى أهمية هذا البحث والمتمثلة في :
 5. محاولة الربط بين العقل الإنساني والدين الإسلامي تحت بناء فلسفة العلوم .
 6. تبين إستقلالية الحضارة الإسلامية كإيديولوجية وتوطيد العلاقة بين الإسلام والحضارات الأخرى من خلال عالمية العقل الإسلامي العلمي .
 7. الإعتراف بأن أهم مفاهيم المعرفة العلمية الحديثة صنعها جيل من الشخصيات الإسلامية ولم تكن حكرا على الغرب فقط .
 8. تحليل الإسلام من الثوابت والمعتقدات الشخصية التي قيدته ورسمت حدوده لإلغاء الآخر وطمسه، في حين أن الإسلام صنع من أجل التعايش المشترك بين النحن والآخر.
- فخدمة للإطار الفكري والمنهجي لهذا البحث إعتدنا منهجا وصفيا تحليليا لتوضيح المبادئ الإسلامية ومعايير صناعة الشخصية العلمية، ودورها في صناعة الحضارة، لتتجلى تقاسيم هذا البحث وفق محورين :
- المحور الأول: إيديولوجيا الإسلام ودورها في صناعة الشخصية الإسلامية .**
- المحور الثاني: إيديولوجيا الإسلام في صناعة الحضارة، وتوحيد الإنسانية بالعلم، (الحسن بن الهيثم أنموذجا)**

المحور الأول : إيديولوجيا الإسلام ودورها في صناعة الشخصية الإسلامية

إن الإسلام دين صنع طريق التفكير الحر، ونحن هنا لسنا بصدد تلميع صورته بل بإقناع أنفسنا قبل غيرنا أن هذه الإيديولوجيا ماهي في الحقيقة إلا أنموذجا للتفاعل بين الدين والعقل، وبين الدين والدنيا، وبين الدين والعلم . " ففي الإسلام وحدة ، نجد اتحاد الدين والعلم فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما فنجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرة العلم ونرى وجه الفلسفة ووجه العلم متعانقين ، فهما واحدة لا اثنتان"¹. كما عبر عن

ذلك هورين فالإسلام بذلك جمع بين المتناقضات ليصل بها إلى التكامل وهو غاية الوجود الإنساني على هذه البسيطة وعلاقته بالطبيعة . فهذا يعني أن الديانة الإسلامية لم تكن حريصة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسب، بل صنعت ذهنيات إمتازت بطلب العلم والبحث عن المعرفة وهذا ما وصفه ماهر عبد القادر بقوله : " إمتاز الاسهام العربي إبان فترة الإزدهار الحضاري الممتدة من أواخر القرن الثاني الهجري وحتى أوائل القرن السادس عشر الهجري بالنقد والعقلانية"². مما سمح بفتح مكتبات علمية إزدانت بمختلف العلوم والأبحاث والدراسات المتخصصة في مجالات العلوم التطبيقية التجريبية والنظرية العقلانية معتمدة مناهج تأصلت وارتبطت بهذه الميادين، وهنا نجد ان الاسلام كان دافعا إلى:

- التفكير وتحرير العقل من الظن والهوى، والإسراف والفساد والأحكام القبلية لأن هذه الخصال تجعل من الباحث عن المعرفة معاق البصر و البصيرة ، فلا يلتمس خبرا أو خبرة إلا وقد صادفه الميل و النزوع إلى عواطفه أو عشيرته أو إيديولوجيته ، فطمس بذلك روح الإبداع و النقد والتمحيص وعزل الموضوعية في بحثه، وهنا نلمس درو الإيديولوجيا الإسلامية في تكوين الشخصية الباحثة والمستكشفة عن الحقيقة من خلال رسم معالم الروح العلمية ، لكن للأسف نحن نقرأ التاريخ على أنه صراع، مما يفسر النمو المتزايد للأبحاث التي تؤيد نظريات وتمجد شخصيات من جهة ومن جهة أخرى تدعي طائفة من الباحثين تفنيدها وإبطالها لهذه النظريات وتقذح في الشخصيات بحجج قد يكون دافعها إيديولوجيا في أغلب الأحيان ، " فهذا الشعور الإيماني الفطري الذي أوجده الإسلام في نفوس المسلمين أوجد ثورة داخلية تغييرية عظيمة تركت أثارا في شتى مجالات الحياة منها الجانب العلمي والحضاري"³.

- التدبر في ظواهر الكون بالدراسة التجريبية والعقلانية أي ما تعلق بالفيزياء والبيولوجيا والظواهر الإنسانية "ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا لاتزال في مهدها ، كانت حضارات الشرق خاصة في مصر القديمة . وعامة في فارس وبابل والصين تقدم للبشرية الأسس التي يقوم عليها التفكير الإنساني بشكل عام والعلم بشكل خاص"⁴ . وهنا نقف طويلا على حال اليونان القديمة التي كانت تتلمذ على يد الحضارات الشرقية، وما كان تفوق اليونان النظري الفلسفي إلا نتاج التأثير بالفكر الشرقي القديم "فاذا كان طاليس وافلاطون وديموقريطس وغيرهم قد جاؤوا إلى مصر لتلقي العلم والمعرفة فإن هذا العلم قد إنتقل بكامله إلى اليونان بجميع فروعها النظرية والعلمية"⁵ . فالإسلام إذا بعث في المسلم روح البحث دون كلل أو ملل في مخلفات الحضارات الأخرى، وحث على دراسة المنقول منها دون الرهبة من تلك الكتابات المتعلقة بالالوهية والغيبات وما يتعارض حتى مع بديهيات الإيديولوجيا الإسلامية لأن في ذلك كمال للعقل الذي لا يجب أن يتقيد بفكرة دون تمحيصها ونقدها فالعقل الإسلامي عقل نقدي وليس عقل نقلي فقط .

- الإستفادة من ثروات الأرض وخيراتنا بتطويع الطبيعة لصالح الإنسان حفاظا على بقائه ودليل على قوته العاقلة ، مما خلق عالما للتنافس الفكري في وحدة من التضامن الإنساني داخل حدود الدولة الإسلامية التي يسودها نطم من الحرية لا تعترف بالإيديولوجيا بقدر ما تعترف بقوة الانسان العاقلة، فتتنوع مصادر البحوث

والنظريات بتنوع الأديان ويبقى التاريخ شاهدا على منجزات الحضارة الإسلامية خاصة مع تأخر أوروبا في عصور الظلام "فعندما أفاقت أوروبا من سباتها وغيوبتها تطلعت نحو الشرق وبدأت في الترجمة والنقل ... فقد مروا عبر الأندلس أو صقلية وجنوب إيطاليا أو الحروب الصليبية ، حتى اكتشف الأوروبيون قوة العرب ومالهم من حضارة وما وصلوا إليه من تقدم"⁶.

- رفع قيمة العلم والعلماء وتحديد الفاصل بين الإنسان وأخيه الإنسان ليس بتلك العنصرية العرقية أو الإيديولوجية ... وإنما الفاصل هو العلم فقط . فلا نحتاج في هذا المقام ان نستشهد بالآيات والأحاديث التي مجدت العقل ودفعته إلى صناعة العلم والتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، لذلك قدمنا عقولا إسلامية النسب مختلفة الأديان من أجل تحديد مقومات وأسس الإسلام التي وهبت في الباحث الإسلامي، بل البحث عن دوافع النقد العلمي العقلاني والتجريبي فيكفي ان نذكر ابن سينا والرازي في الطب وجابر بن حيان وابن الهيثم في الفيزياء والخوارزمي في الرياضيات وغيرهم من أبدع في كتابة التاريخ وتأصيله كعلم مستقل الموضوع والمنهج كالطبري وابن خلدون ... بل أكثر من ذلك من إعتنق الفكر اليوناني القديم وشرحه كالكندي والفراي ... حيث تصف زغريد هونكه : "إن الإغريق تقيّدوا دائما بسيطرة الآراء النظرية ولم يبدأ البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب"⁷ . فكلما تعمق الباحث في دراسة الشخصية الإسلامية وجد بداخلها دافع فطري يتوافق ويتناغم مع ما يحمله الدين الإسلامي، إنه ذلك النور الذي يسطع من أجل إنارة كل الإنسانية فلا أنانية في العلم ولا ذاتية في الهدف ولا تطاول وإحتقار لمجهودات السابقين أو المخالفين عقائديا، إنه ببساطة إيديولوجيا الموضوعية والبحث النقدي العقلاني والتجريبي الصرف. لذلك فإن المقارنة البسيطة بين الحضارة اليونانية القديمة وما قدمته الحضارة الإسلامية يجعلنا نقف على أنه "كلما أمعن الانسان في دراسة المصادر الأصلية للنهضة الأوروبية إزداد تصوره أن هذه النهضة المزعومة أشبه ما تكون بالولد نسب إلى غير أبيه الحقيقي"⁸.

- الفصل بين الحقائق الغيبية التي مدارها الفلسفة والحقائق الحسية التي مدارها العلم، وهذا ما ولد المناهج وأدوات البحث بدافع ديني إسلامي، فيكفي أن نقول بأن الحضارة الإسلامية هي حضارة المنهج فقد دفع الإسلام بتابعيه إلى البحث عن الحقيقة كواجب نحو المعرفة خدمة للدين والدنيا، لكن الغريب في إيديولوجيا الإسلام أنها لم تفرض على الإنسان بصفة عامة وعلى الباحثين بصفة خاصة طريقة للبحث، ولم تحد من طريقة تفكيرهم، ولم يتم توجيه العقل غيبيا، لذلك وجد الباحثون ضالّتهم عندما درسوا وبحثوا ونقدوا ومحصوا كل الظواهر المحيطة بهم، فظهر بذلك المنهج التجريبي عند أصحاب الخبرة أو التجربة ونقصد هنا ابن حيان والرازي ... وابن الهيثم هذا الأخير وضع قواعد وخطوات الاستقراء التجريبي "ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المُبصّرات، وتقييم خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار ، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشته من كيفية الإحساس ، ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقاء المقدمات، والتحفظ من الغلط في النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه إستعمال العدل ، لا إتباع الهوى ، وتنحري في سائر ما نجيزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء"⁹.

- الحذر من الغرور وأمراض النفس التي تصيب العالم فيتخلى عن البحث عن الحقيقة إلى التباهي بها وإحتكارها، لتأمل في عظمة هذا الدين الذي أزال كل الحواجز والفوارق الاجتماعية والعرقية وحتى الجنسية بين أفراد مجتمعه فالعلم والعمل قاعدة دنيوية يجب الأخذ بها من أجل إقامة الغاية الوجودية التي خلق الله عز وجل من أجلها الإنسان وهي خلافة الله في الأرض بتعميرها وإرساء مقومات الحضارة فيها بالتخلص من كل مظاهر العنصرية ونبد الآخر ... إلى بلوغ القدرة على إحتواء الآخر وقبول إختلافه عن المسلمين ، لأن الإسلام عالمي إنساني لكافة الناس وليس حكرا على فئة أو قبيلة . فهذه الإيديولوجية كتلة متلاحمة متكاملة تراعي كل ظروف وأساليب الحياة الإنسانية " فالخيط الأول - سواء في المعرفة الإسلامية أو غيرها - الذي ينسج مختلف الأفكار والمشاعر والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والتربوية ... الخ في حياة الإنسان ، هو تحديد إطار ومحتوى نظرة الإنسان إلى الكون والحياة والإنسان والمجتمع والله والعلائق الارتباطية المتداخلة بينهم"¹⁰ . لذلك إرتبط العلم في الإسلام ب :

- في الإسلام ارتبط مفهوم العلم بالإنسان موسوما ومحددا بالأخلاق وهذا ما يحدد الفارق الأصيل بين العلم البراغماتي الغربي والعلم الأخلاقي في الإسلام ونقصد هنا إرتباط العلم بأهدافه السامية ووسائله المشروعة التي لا تخدم هدفا مغرضاً ولا وسيلة تخرب وتقضي على الفطرة والطبيعة التي خلقها الله عز وجل في أحلى حلة، وهنا سيكتشف المدقق في النظر أن حقيقة العلم الغربي - في جله وليس في كله - هي السيطرة وامتلاك القوة والإحتكار بدافع الغلبة على الأمم والشعوب المستضعفة، لكن الإسلام بغير ذلك تماماً لأنه يصنع العلم من أجل العلم وخدمة خير الإنسانية ورفيها ، لذلك " فالعلم هو أعظم ما قدمته الحضارة العربية إلى العالم الحديث عامة ، والجدير بالذكر أنه لا يوجد ناحية من نواحي النمو الحضاري إلا ويظهر للإنسان فيها أثر الحضارة والثقافة العربية ، وأن أعظم مؤثر فيها هو الدين الإسلامي الذي كان المحرك للتطبيق العلمي للحياة"¹¹ .

- ففي الإسلام إذا نجد التكامل بين العقل والحواس لأنهما وسيلتان لنقل المعرفة بدون أحدهما يبطل عمل الآخر حتى مع إختلاف التخصصات التجريبية أو الفلسفية فنوافذ العقل تمدّه بالمحسوسات، فيقوم العقل بدوره بتصحيحها وترجمتها لذلك إذا أغلقت النوافذ توقف العقل وإذا إحتكر العقل المعرفة وحده تجرد من عالم الطبيعة وصار تائها بين مجرداتها ، لذلك عزز الإسلام عمل الحواس ودعى إلى إعمالها والنظر في موجودات الطبيعة ، وأمر العقل بالتأمل والنقد والتمحيص والتعقل في الحكم والتريث في الكشف عن حقيقة الأشياء إلا بعد تمعن ونظر ... وكل هذا بنور الفطرة والبصيرة الإيمانية التي تغلب على كل حكم علمي أو عملي ترتبط بالخشية والأمل في رضى الله تعالى فكانت الأخلاق سمة العلم الإسلامي تماشياً مع الأوامر الإلهية وانسجاماً مع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وهذا ما عبر عنه حسن البنا في قوله : "الإسلام الخفيف ألزم العقل البشري نوعاً من التفكير هو أتمها وأكملها وأشملها وأكثرها انطباقاً على واقع الحياة ... ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل"¹² .

المحور الثاني: إيديولوجيا الإسلام وصناعة الحضارة وتوحيد الإنسانية بالعلم.(الحسن بن الهيثم أمؤذجا)

إننا لاندرك قيمة العلم إلا من خلال نتائجه فهذه الحقيقة تقودنا إلى البحث عن ذلك الجانب التطبيقي الملموس والمحسوس من اختراعات المسلمين وابداعاتهم الفكرية الذين قدموا آفاق السعادة للإنسانية وقلبت حياة الشقاء إلى حياة الرغد وغيرت حياة الناس بل غيرت حياة الأمم حتى عرف الإسلام بأعمال المسلمين وفي هذا الصدد يقول المفكر ليبوبولد فايس : "لسنا ببالغ إذا قلنا أن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يدرش في مدن أوروبا ، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة"¹³

لذلك فالبحت عن مفاتيح السعادة العلمية في الحضارة الإسلامية كان الشغل الشاغل لكل العقول التي اعتنقت الإسلام وفي ذلك كتبت أخبار وسير وتراجم وأعمال العلماء والمفكرين المسلمين نذكر منهم الفرائي والكندي وابن سينا والحسن بن الهيثم الذي يعتبر من عباقرة الحضارة الإسلامية خاصة في مجال البصريات وهذا ليس صدفة بل لما قدمه للإنسانية من منهج جديد قام على التجربة المخبرية مستبعدا كل إستنتاج ظني لم يخلق في المختبر وصدفته الدراسة الميدانية التطبيقية، فنجد أن ميلاد العلوم الطبيعية عند المسلمين لم يكن نظريا فقط (فلسفيا) بل كان موثقا بالمنهج التجريبي الإستقرائي وهذا ما جعل المنهج التجريبي مفخرة تفتخر بها الحضارة الإسلامية لتضيء به على كل الإنسانية " فالعلماء العرب والمسلمين هم أول من بدأ ودافع بكل جدارة عن المنهج التجريبي، فهذا المنهج يعتبر مفخرة من مفاخرهم فهم أول من أدرك فائدته وأهميته للعلوم الطبيعية ، وعلى رأسهم ابن الهيثم"¹⁴

هنا نقف على حقيقة الشخصية الإسلامية المفكرة والمتأمل في ظواهر هذا الكون بنظرة ماحصة ناقدة تفضل إستخدام العقل والحواس معا دون المكابرة على ما خلفته الحضارات السابقة لها، ودون التملق لإنجازاتها وحدها، لأن العلماء المسلمين فهموا طبيعة باشلار العلمية من جهة وأسسوا لتلاؤمية بوانكاري من جهة أخرى، حتى قبل الإحتكاك بهما، هذا ما يفسر ديناميكية و حركة التفاعل بين إنتاجات العلماء المسلمين وهذا دليل على التكامل بين النظريات العلمية وكيفية تطورها أي أن الأعمال العلمية الإسلامية لم تكن إنتاجا فرديا معزولا إنما هي تراكمية أسست لبنائها وتطورها عقولا استلهمت القدرة على النقد والتمحيص والاستمرارية في البحث بمنهج علمية عملية مختلفة ومتنوعة متخصصة بحسب مجالات المعرفة، خاصة المنهج الإستقرائي الذي مازالت أوروبا تمجده وتحتفي به كواحد من أعظم إنجازاتها، عازلة بذلك كل جهود المسلمين في هذا المجال وسنكتفي بوصف زغريد هونكه : "هذه المعارف المبتكرة العظيمة الشأن ، هذه التحقيقات العلمية الرائعة التي قدمتها العبقريّة العربية هدية منها للإنسانية عامة ولأوروبا خاصة ، كالأرقام العربية وعلم الجبر العربي ، وعلم الطبيعة ، ... فإن أغلب الإكتشافات العربية حملت معها وماتزال تحمل حتى يومنا هذا أسماء إنكليزية أو فرنسية أو ألمانية"¹⁵ وهكذا فإن فكرة التكامل بين أعمال العلماء المسلمين وضعت أسسا فعلية تؤسس لكل عمل تجريبي علمي إستفادت منه الأجيال اللاحقة والحضارات المتعاقبة خاصة الحضارة الغربية الحديثة التي يصنعها أكثر من مفكر في إنتاجها أي: " أن يشترك أكثر من مفكر واحد في الوصول الى إحدى الحقائق العلمية، بمعنى أنهم يتقاسمون بينهم مراحل

التفكير التجريبي فيقف بعضهم عند حد جمع الملاحظات أو يختص بعضهم بوضع الفروض على أساس تلك الملاحظات، وأخيرا يأتي بعضهم لتحقيق الشروط الضرورية لإجراء التجارب العلمية¹⁶، فهذه الحقيقة هي التي أسست للإبستمولوجيا وتطور العلوم عند الغرب حيث أن " عقلنة المجال التاريخي وإعادة قراءة الماضي من مواقع متجاوزة و تأسيس الوعي بالماضي والتمسك بمعطياته من أجل التحكم في توجيه الحاضر نحو المستقبل، تبغية الإرادة الإنسانية "17.

إن ما يجعل من إيديولوجيا الإسلام عالمية إنسانية هو تلك القيمة الأخلاقية، فهي من جهة تحمل بين طياتها تقبلا للآخر رغم إختلافه الإيديولوجي والعربي...ومن جهة أخرى تحمل تلك السمات والصفات الموضوعية التي تحلى بها منهج البحث عند العرب والمسلمين التي امتزجت بروح النقد فلا تعترف هذه الحضارة بالمقدس أبدا بل كل ما تصبو إليه هو بلوغ الحقيقة التي تتغير وتتجدد مع كل واقع زماني أو مكاني " فالمادة العلمية الاغريقية التي تسلمها العرب لم يسلموها على حالها الى غيرهم ممن جاء بعدهم فلقد كان لها حياة ونمو حقيقيان "18.

لنقتصر إذا العلاقة بين إيديولوجيا الإسلام والشخصية الإسلامية في بعض من منجزات الحسن ابن الهيثم، فلا نرمي هنا إلى تكرار ما قدمه الباحثون والمشتغلون في هذا المجال كخطوات المنهج والسرد التاريخي لأسسه وكل ما تعلق به ... إنما نحن نحصر بعض الأفكار التي تخدم هدفنا من هذا البحث .

- فالمنهج والطريقة المخبرية التجريبية هي ذات الطريقة والمنهج المعتمد عند الغرب، مما يعني أن هناك تكاملا بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية الأوربية وليس هذا ما نرمي اليه بل إننا نشير إلى تلك الجهود التي قام بها المسلمون على أنها تراكمية وحركية أدت إلى بلوغ المنهج الإستقرائي أوربا وهذا بخلاف ما روجه المنبهرون بالحضارة الغربية بأن الإسلام وحضارته مجرد تعاليم لا تفقه من تفاسير الطبيعة شيئا، وإنما يقتصر دورها على تفاسير أحوال وأحوال القيامة فقط . فيقول ابن الهيثم في شرحه لخطوات الاستقراء : " يبدأ في البحث بإستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ، ويلتقط ما يخص البصر في حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتهبه في كيفية الإحساس ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقال المقدمات والتحفظ في الغلط من النتائج "19.

- تغليب النزعة الموضوعية كمقوم أساسي تقوم عليه كل عملية تجريبية تستقري الظواهر الطبيعية، والتخلص من كل الأفكار الوهمية ورفض كلي لكل ما هو غيبي من تفسير أو أوهام تتعلق بالظاهرة أو الدراسة البحثية، وهنا يجب التسليم بمبادئ العلية والسببية والحتمية كبناء يدل على نظام وسيرورة وتعاقب هذه الظواهر الطبيعية " فظواهر الطبيعة تجري في نظام ويتكرر حدوثها على نهج واحد يتوافر فيه التجانس والإنسجام والتمائل "20.

- إعتداد الأسلوب العلمي التجريبي لأنه طريق لبلوغ الحقيقة انطلاقا من المحسوسات وصولا إلى المعقولات، أي الانطلاق من ظواهر الطبيعة الحسية لنصل إلى إدراك العلاقات التي تربط بينها عقليا، ويتجلى ذلك في رسم

الأسباب والشروط المكونة للظاهرة ومن ثم رسم حدود القانون العلمي برموز رياضية تتجلى فيها عظمة الرياضيات وهذه مساهمة إسلامية عززها علماء الأمة الإسلامية من أجل عالمية العلم " في أي بحث على الدارس أن يبدأ بالأمور الحسية لينتهي منها إلى الأمور العقلية معتمدا على التجربة والمشاهدة والاستقراء ليتفحص الموجودات ويميز خواص الجزئيات ويلتقط منها ماهو مطرد لا يتغير"²¹.

خاتمة :

" إذا كان العلم لا يفكر في ذاته فإن فلسفة العلم هي التي تتكفل بذلك العبء وتصطنع التفكير في ذات العلم، في منهجه ومنطلقاته وخصائص المعرفة العلمية وشروطها وطبائع تقدمها وكيفياتها وعوامله "²² سوف نقتبس من هذا أن الدين الإسلامي لم يكن ديناً موجهاً لفئة أو شعباً دون غيره من الشعوب فهو عالمي نفعي قدم ولا يزال يقدم للإنسانية مفاتيح السعادة وسبل الرقي والتطور في كل ميادين الحياة، لنستخلص من بحثنا هذا قيمة العلاقة الموجودة بين العلم والدين، وبين العقل والنقل، وبين التطور والعمل، ... فهذه المفاهيم ليست جدلية متناقضة ومتصارعة إنما هي مفاهيم متكاملة متداخلة عرفت نشأة جديدة وأهدافاً متعالية سامية إرتبطت بالأخلاق وهذا ما جسده كل الشخصيات الدينية والعلمية في ظل الحضارة الإسلامية التي لاتعترف بالشخصانية بقدر ما تعترف بالإنسانية وهذا ما يفسر بصورة واضحة مدى إهتمام المسلمين بالعلوم والمناهج بصفة عامة، وبالأستقراء بصفة خاصة، لتفسير هذا الوجود بنظرة علمية تجريبية يصدق ويكمل بها الاسلام كإيديولوجيا نستطيع الدفاع عنها عقدياً وعلمياً بحجج العقل، وبرهاننا بحجج إستقرائية تجريبية . " ففي هذا الصدد فإن دراسات وأبحاث العلماء العرب تكشف بصورة جادة عن إهتمامهم بالأستقراء في أبعاده المختلفة ، كما تكشف في نفس الوقت عن وعيهم بمشكلاته وأبعاده المعرفية"²³

لذلك نقدم بعضاً من التوصيات :

- يجب إعادة إحياء العلاقة بين الدين والعلم في حلة يسودها مفاهيم إحتواء الآخر ونبذ التطرف الفكري والايديولوجي لكي نستطيع الإرتقاء بحضارتنا الإسلامية التي كانت تقبل الاختلاف والتباين .
- لابد من إعادة قراءة التاريخ الإسلامي والمنتوج العلمي ليس بالطريقة السردية التي تقتصر على نقل العلوم وتمجيد الشخصيات فقط، بل يجب إعادة بناء ذلك النسق الفكري المتراكم وإبراز معالم القوة والتجديد والإستقلالية عن كل الحضارات السابقة واللاحقة للحضارة الإسلامية من أجل إعادة الثقة للأجيال الحاضرة واللاحقة التي تشكك في قيمة المنتوج الثقافي والعلمي الإسلامي بالموازاة مع الإنبهار بالحضارة الغربية وما تقدمه من مستحيل فكري عجز عن مجاراته العقل العربي والإسلامي المعاصر نتيجة الضعف والتخلف والذهنية الهزمية التي شربتها هذه الأجيال في مختلف الأصعدة والمجالات الحياتية والأخلاقية .
- من الضروري إقامة صرح الشخصيات الإسلامية التي إستفاد من أعمالها وخبراتها الغرب، في حين لازلنا نغنى على أطلال اختراعاتهم ، وذلك بإعادة تبني منتوجهم الثقافي والعلمي ودراسته بمختلف أبعاده السياسية والإجتماعية والعلمية والإنسانية ... بالإضافة الى البعد الايديولوجي الذي يكون مكمل لا مؤسساً.

- لابد من تفعيل ورشات البحث والدراسة وإقامة الملتقيات الوطنية والدولية من أجل إبراز الدور الريادي للعلوم والمناهج العلمية الإسلامية من خلال فهم سيكولوجي ووصفيولوجي لهذه الشخصيات الإسلامية التي وجد بعضها في عصر إنحطاط الدولة الإسلامية وتحديد معالم القوة فيها حتى نستطيع فهم حاضرها الذي لم نستطع تجاوزه علميا ومعرفيا وتشجع العقل العربي على البناء الفكري والمادي. حيث " لا يوجد في أي كتابات مقدسة معروفة في العالم مثل ما في القرآن الذي يشير الى مسؤولية البشر تجاه فهم الارض وكل الحياة القائمة عليها والحفاظة عليها ،ويتشارك في هذه الاهتمامات معظم سكان العالم بصرف النظر عن معتقداتهم"²⁴
- يجب تكريس وتدریس مفاهيم الحرية والمساوات ونبد كل أنواع التطرف الفكري والايديولوجي بواسطة بناء ادوات الدراسة وفتح افاق البحث واعتماد الشجاعة للغوص في التراث العلمي والفكري وتنقيته من الشوائب الطائفية والبلادة الفكرية التي ارتبطت بالاسلام والمسلمين منذ عصور الانحطاط لاسيما إذا من " الابقاء على المفاهيم التي غيرت وجه العالم فعلا كمفهوم الحرية والمساواة والاخوية...ومن الجوهرى بمكان الاعتناق من كل وقاحة فكرية ".

المصادر والمراجع

- أحمد عبد الحميد غراب — نحو جيل مسلم — دار الطباعة والنشر الإسلامية ، المركز الاسلامي للدراسات والبحوث ، بدون طبعة، بدون سنة النشر .
- د ماهر عبد القادر ، العلم العربي ، مكتبة لسان العرب 2004.
- د جعفر عباس حاجي ، نظرية المعرفة في الاسلام ، مكتبة الالفين ، الكويت بيروت ، ط1 1407-1986 .
- د رمضان الصباغ ، العلم عند العرب واثره على الحضارة الاوربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ط1 اغسطس 1998.
- زغريد هونكه ، شمس الله تسطع على الغرب ، تر فاروق بيضون ، دار الجيل، بيروت ، ط8.
- د جعفر عباس حاجي ، نظرية المعرفة في الاسلام ، مكتبة الالفين ، الكويت بيروت ، ط1 1407-1986 .
- د علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 1403هـ-1977م.
- د علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 1403هـ-1977م .
- د عبد الزهرة البندر ، منهج الاستقراء في الفكر الاسلامي أصوله وتطوره ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 1413هـ-1992م .
- نايف بلوز ، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية ، جامعة دمشق سوريا 1981-1982 .

- تأليف جماعي خاشم المعاضيدي /عبد الامير دكسن/عبد الرزاق الانباري ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الاكاديمي ، بيروت ط2014، 1.
- مسعود طيبي ،فكرة المنهج التجريبي عند ابن الهيثم، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر، ط2003، 1.
- مصطفى نظيف ،الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه في علم البصريات ، د ط، دت، ج1.
- ماهر عبد القادر محمد، الاستقراء العلمي ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، دط، دت.
- هوارى ر. تيرنر ، العلوم عند العرب، ترفتح الله الشيخ ، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ، ط1، 2004
- جورج قرقم ، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب ، تر رلى ذبيان ،دار الفرابي ، بيروت ،لبنان، ط2011، 1.

المجلات العلمية

- الخولي ظريف يمينى ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، عالم المعرفة 264 المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت 2000 .
- مروان القدومي، دور ابن الهيثم في البحث العلمي، مجلة جامعة النجاح للابحاث والعلوم الانسانية ،فلسطين 2002،
- منار الاسلام .العدد 8 شعبان 1400 يونيو 1980 مقال فؤاد سركين .

الهوامش:

- 1 - أحمد عبد الحميد غراب - نحو جيل مسلم - دار الطباعة والنشر الاسلامية ، المركز الاسلامي للدراسات والبحوث ، بدون طبعة، بدون سنة النشر، ص11.
- 2 - د ماهر عبد القادر ، العلم العربي ، مكتبة لسان العرب 2004 ص 07.
- 3- د جعفر عباس حاجي ، نظرية المعرفة في الاسلام ، مكتبة الالفين ، الكويت بيروت ، ط1 1407-1986 ص14
- 4 - د رمضان الصباغ ، العلم عند العرب واثره على الحضارة الاوربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ط1 اغسطس 1998 ص5
- 5- د رمضان الصباغ ، نفس المرجع ص 5
- 6 - د رمضان الصباغ ، نفس المرجع ص6
- 7 - زغريد هونكه ، شمس الله تسطع على الغرب ، تر فاروق بيضون ، دار الجيل، بيروت ، ط8، ص09
- 8 - منار الاسلام .العدد 8 شعبان 1400 يونيو 1980 مقال فؤاد سركين .
- مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه في علم البصريات ، د ط ت، ج1، ص33⁹
- 10- د جعفر عباس حاجي ، نظرية المعرفة في الاسلام ، مكتبة الالفين ، الكويت بيروت ، ط1 1407-1986، ص45
- 11- د علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 1403هـ-1977م، ص15.
- 12 - احمد عبد الحميد غراب، نفس المرجع ، ص 12 .
- 13 - د علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 1403هـ-1977م ص303
- 14 - د علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 1403هـ-1977م ص 305
- 15 - د عبد الزهرة البندر ، منهج الاستقراء في الفكر الاسلامي أصوله وتطوره ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 1413هـ-1992م ص91 .

- 16 - نايف بلوز ، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية ، جامعة دمشق سوريا 1981-1982 ص 431.
- 17 - تأليف جماعي خاشم المعاضيدي /عبد الامير دكسن/عبد الرزاق الانباري ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الاكاديمي ، بيروت ط2014، 1، ص225
- 18 - مسعود طيبي ، فكرة المنهج التجريبي عند ابن الهيثم، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر، ط2003، 1، ص79
- مصطفى نظيف ،الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه في علم البصريات ، د ط ت، ج1، ص28¹⁹
- 20 - مروان القدومي، دور ابن الهيثم في البحث العلمي، مجلة جامعة النجاح للابحاث والعلوم الانسانية ، فلسطين ، 2002، ص12 .
- 21- الخولي طريف مكي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، عالم المعرفة 264 المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت 2000 ص10
- ماهر عبد القادر محمد، الاستقراء العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، دط، دت، ص379. 22
- هوارى ر. تيزنر ، العلوم عند العرب، تفتح الله الشيخ ، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ، ط2004، 1، ص269. 23
- جورج قزم ، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب ، تر رلى ذبيان ، دار الفرائي ، بيروت ، لبنان، ط2011، 1، ص423²⁴